# استعادة ١٩٦٧: حربٌ لإنهاء كلّ الحروب

نورمن فنكلستين*
نقله عن الإنكليزيّة: سماح إدريس

لو سَلّمنا، جدلاً، بحقّ إسرائيل في اعتراض أسطول المساعدات الإنسانيّة المتّجهة إلى قطاع غزّة المحاصر، فإنّ السؤال يبقى:

«لماذا اختار رجالُ الكوماندوس الإسرائيليّون، في ما يُفترض أن يكون اعتراضًا سلميًا للأسطول، أن يَهْبطوا إلى السفينة مستخدمين حبالاً متدلّيةً من طائرة هيليكوبتر عسكريّة، وفي الظلام، وداخل المياه الدوليّة،» وبطريقةٍ مصمَّمَةٍ عمليًا لإحداث الذعر، إنْ لم يكن الموت؟[١]

---

* ـ باحث أميركيّ يصدر له قريبًا كتابٌ جديد عن دار الآداب بعنوان: **هذه المرّة تمادَيْنا كثيرًا**. كما صدر له كتابان آخران عن الدار نفسها، هما: **صناعة الهولوكوست؛ وإسرائيل، فلسطين، لبنان**.

١ ـ Ben Knight, "Claim and Counterclaim after Deadly Flotilla Raid," **ABC News** (1 June 2010).

لقد كان بمقدور إسرائيل ـ على ما أقرّ مسؤولون إسرائيليّون عن طيبة خاطر ـ أن ينتقُوا واحدًا من بين مجموعةٍ من الخيارات غير الخبيثة، من قبيل تعطيل الرفّاص أو المحرّك أو دفّةِ السفينة، أو سحبها إلى ميناء أشدود، أو منعِها من المرور.[١] إنّ غارةَ كوماندوس، بحسابات إسرائيل نفسها، كانت خيارًا غريبًا عجيبًا. فبعد أن أُريق الدمُ، زعمتْ إسرائيل أنّها لم تكن تتوقّع مقاومةً عنيفة، وإنما «عنفًا معتدلاً، وعلى الأغلب شتائمَ ودفعًا بالأيدي، وبصقًا في الوجوه،» أو «اعتصامًا وتشبيكَ أذرع،» أو «مقاومةً سلبيّةً، وربّما كلاميّةً،» أو «نقاشًا مع الركّاب.»[٢] ولكنْ إنْ لم تكن إسرائيل تتوقّع أن تُستخدم القوّةُ ضدّها، فلماذا لم تَصعدْ إلى السفينة في وضح النهار، وربّما بصحبة مراسلين إعلاميّين، لتُظْهِرَ للعالم نواياها السلميّة؟ وإذا لم تكن تنوي اللجوءَ إلى العنف، فلماذا أرسلتْ فرقةَ كوماندوس مدرَّبةً للقتل، لا وحدةَ شرطةٍ اعتادت التعاطيَ مع المقاومين المدنيّين؟

الاستنتاج المنطقيّ غير المبنيّ على تصريحات القادة الإسرائيليّين بعد وقوع الهجوم، وإنّما على الخيارات التي انتقوْها استعدادًا لهذا الهجوم، هو أنّ إسرائيل أرادت مواجهةً داميةً، وإنْ لم تكن ربّما بحجم ما حَدَث فعلاً بعد أن أصيب رجالُ الكوماندوس بالذعر جرّاء مقاومة الركّاب الحازمة، فارتكبوا جرائمَ قتلٍ ثأريّةً إضافيّة. «تُرى، ماذا كان رجالُ الكوماندوس يتوقّعون من نشطاءَ مناصرين للفلسطينيّين حين هبطوا إلى السفن؟،» تساءلت **الغارديان** البريطانيّة في عمود رأي، «أن يدْعوهم إلى تناول فنجان مع رُبّان السفينة على منصّته؟!»[٣]

لكنّ السؤال ما زال يُطرح: لماذا عمليّة كوماندوس، في عتمة الليل، وفي المياه الدوليّة...؟

الحقيقة أنّ عواملَ عدّةً تضافرتْ لتجعلَ من غارة الكوماندوس العنيفة «أسلوبَ التنفيذ الأمثل.» فلقد خاضت إسرائيلُ في السنوات الأخيرة سلسلةً ممّا تُقرّ بأنّه عمليّاتٌ أمنيّةٌ مرتبكة. ففي سنة ٢٠٠٦ عانت نكسةً عسكريّةً كبيرةً في لبنان، فحاولتِ استعادةَ قدرتَها الردعيّة، أيْ تخويفَ العالم العربيّ ـ الإسلاميّ منها، بغزو غزّة في ٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩. غير أنّ هذا الهجوم لم يُثر الرُّوْعَ من سطوة إسرائيل العسكريّة، وإنّما الاشمئزازَ من جبنها الفتّاك. وهذا العام (٢٠١٠) بعثتْ إسرائيلُ بفريق كوماندوس لاغتيال أحد قادة «حماس» في دبي، ولكنّها (رغم نجاح العمليّة) انتهت ببَزْر عاصفةٍ دبلوماسيّةٍ بسبب تنفيذها الهاوي. لذا صمّمتْ، إلى حدّ اليأس، على استعادة صورتها «الجريئة» الماضية. وما تُراه يكون أفضلَ لتحقيق ذلك من غارةِ كوماندوس تُشْبه ما حدث في عنتيبة [أوغندا]؟[٤]

قرارُ شنّ الغارة على سفينة ماڤي مرمرة اتّخذه رئيسُ الوزراء نتنياهو ووزيرُ الدفاع باراك. كلاهما كان عضوًا في وحدة كوماندوس في شبابهما، وكان الثاني قائدَ الأول ومعلّمَه في تلك الوحدة، ويُقال إنّهما ما يزالان يتحاوران اليوم باللغة المشفَّرة التي كانا يستخدمانها في تأدية مهامّ الكوماندوس.[٥] بنى باراك سمعتَه من غارة كوماندوس عام ١٩٧٢ [في بيروت]؛ فيما نَعِمَ نتنياهو بالمجد الذي عَكَسَهُ عليه أخوه جوناثان، الذي كان الإصابةَ الإسرائيليّةَ الوحيدةَ في غارة عنتيبة. لذا لن يكون مستغربًا أن يختار الثنائيّ (نتنياهو ـ باراك) هجومَ كوماندوس عنيفًا لتلميع سمعةِ الجيش الإسرائيليّ وسُمعتِهما أيضًا.

«رئيس الوزراء ووزير الدفاع كلاهما مخلوقٌ مخلصٌ للعمليّات العسكريّة،» هذا ما لاحظه كاتبُ عمود الرأي في **هآرتس**، دورون روزنبلوم، بعد الغارة على الأسطول. «كلاهما كان منغمسًا في عقليّة البطولة الفوريّة وروح الكوماندوس: إنها الروحيّة التي تَظْهر فيها، في ذروة أزمةٍ ما، قوّةٌ عسكريّةٌ كأنّها عصًا سحريّةٌ، وبضربةٍ واحدةٍ تَقطع العقدةَ المستحكمةَ.» ويواصل روزنبلوم القولَ: «على الرغم من أنّ عقودًا مضت منذ أن ضُخَّ هذا الأوجُ الأخلاقيُّ (moral high) في عروقنا، لم يتوقّفْ قادتُنا عن السعي إلى إعادة بنائه تكفيرًا عن انعدام فعّاليّتهم كرجالِ دولة. وكلّما زاد عددُ المهمّات الفاشلة المتلاحقة، زادَ توقُهم إلى المهمّة الخلاصيّة التالية التي ستَشْفي [إسرائيلَ] من الصدمة ومن الرحلة السيِّئة السابقة... [لكنّ هذه] هي ردودُ فعل المدمنين الذين حُرِموا مرارًا وتكرارًا جرعاتِ التخدير: إنّها عمليّةُ جيش الدفاع الإسرائيليّ المُثلى، أو

---

١ ـ Nahum Barnea, "The Test of the Result," **Yediot Ahronot** (1 June 2010); Ben Kaspit, "It's Not Enough to Be Right," **Maariv** (1 June 2010); Amos Harel, "Straight into the Trap," **Haaretz** (1 June 2010); Mordechai Kedar, "A War for World's Future," **ynetnews.com** (31 May 2010); Mickey Bergman, "The IDF Soldiers Were Sent on a Mission That Defies Logic," **Huffington Post** (1 June 2010); Yaakov Katz, "Duped," **Jerusalem Post** (4 June 2010).

٢ ـ Katz, "Duped"; Ahiya Raved, "20 People Threw Me from Deck," **ynetnews.com** (1 June 2010); "Israel Navy's Gaza Flotilla Probe 'Finds Planning, Intel Flaws,'" **Haaretz** (20 June 2010); "Army Inquiry Slams Flotilla Raid's Planning," **ynetnews.com** (8 July 2010).

٣ ـ "Gaza: From blockade to bloodshed," **Guardian** (1 June 2010).

٤ ـ عمليّة عَنتيبة جرت في مطار أوغندا في ١٩٧٦/٦/٤ على يد رجال كوماندوس إسرائيليين لإنقاذ رهائن.

٥ ـ Uzi Mahnaimi and Gareth Jenkins, "Operation Calamity," **Sunday Times** (6 June 2010).

الحربُ الحاسمة، التي ستُخمِدُ أيَّ سؤالٍ أو احتجاجٍ (وأيّةَ حاجةٍ إلى زعامةٍ للدولة).»(١)

كما كان متوقّعًا، تجلّى اللجوءُ الإسرائيليّ إلى القوّة العنيفة في الهجوم على مافي مرمرة، وهي سفينةٌ تَرفع العلمَ التركيّ، وركّابُها مواطنون أتراك في معظمهم، وزُعم أنّ الفصيل الأساسيّ فيها «واجهةٌ لمنظّمةٍ إسلاميّةٍ راديكاليّةٍ قد تكون على صلاتٍ بالحزب الحاكم في تركيا» ـ وهو ما جعل منها هدفًا أكثرَ إغراءً ممّا هي أصلاً.(٢)

هذا، وقد ازداد رئيسُ الوزراء التركيّ رجب طيّب أردوغان في الأزمنة الأخيرة جهرًا بنقده لإسرائيل، وعزمًا على صياغة سياسةٍ خارجيّةٍ تركيّةٍ مستقلّة. وكان بعد غزو غزّة قد وبّخ الرئيسَ الإسرائيليّ شيمون بيريز، في القمّة الاقتصاديّة العالميّة في دافوس، حين خاطبه قائلاً: «حين تكون المسألةُ مسألةَ قتل، فإنّكم تعرفون جيّدًا كيف تَقْتلون!» وفي أوائل هذا العام (٢٠١٠) أهانت إسرائيلُ السفيرَ التركيّ علنًا أمام عدسات الشاشات الإسرائيليّة، إذ لم يصافَحْ باليد، وأُعطي كرسيًا منخفضًا، وكان نائبُ وزير الخارجيّة الإسرائيليّ مشْرفًا عليه [من فوق]. ثم نسّق أردوغان مع البرازيل من أجل بلوغ حلّ ديبلوماسيّ للنزاع الدوليّ مع إيران بسبب برنامجها النوويّ. ولمّا كانت إسرائيل مهووسةً بمهاجمة إيران، فقد اعتبرتْ هذا السلوكَ التركيّ تدخّلاً آخرَ غيرَ مرحَّبٍ به. ولاحقًا أبدى نتنياهو حسرتَه لأنّ «تركيا بهذا السلوك عزّزتْ تماهيَها وتعاونَها مع إيران قبل أيّام فحسب من [حادثة] الأسطول.» ثم إنّ التوسّلات الإسرائيليّة إلى أعلى مستويات الحكومة التركيّة بضرورة منع إرسال أسطول الحريّة ذهبتْ أدراجَ الرياح.(٣)

لقد آن أوانُ إرجاع المدّعي [المغرور] التركيّ إلى حجمه، إذنْ. وستكون غارةُ كوماندوس ناعمةً وسلسةً (وإنْ دمويّة) تذكيرًا إسرائيليًا تحتاجه أنقرة لكي تعرف مَنْ هو «الرَّيِّس» في هذه البقعة من العالم. لقد تجنّبتْ إسرائيلُ الخياراتِ اللاعنفيّةَ لوقف الأسطول، على ما شرح لاهثًا محلّلٌ إستراتيجيٌّ إسرائيليٌّ، لأنّها أرادت «أن تُخبرَ تركيا المتأسلمةَ أنْ... كفى! إنّ قوى الإمبراطوريّة العثمانيّة، الطامحةَ إلى إعادة حكم الشرق الأوسط كما فعلتْ قبل ٥٠٠ عام تقريبًا، ستُوقَفُ عند سواحل غزّة.»(٤) وإنّ القطيعة التي نجمتْ بعد ذلك بين إسرائيل وحليفتها التاريخيّة تركيا تبدو في أساس مثل ذلك التأويل: إذ لِمَ تُخاطرُ إسرائيلُ بدفع هذا الثمن الديبلوماسيّ الباهظ؟ بيْد أنّ إسرائيل اعتادتْ أن يكتفي الزعماءُ العرب ـ المسلمون بتقبّل صفعاتها المُهينة بخنوع. فلو كان الكوماندوس الإسرائيليّ قد قَتَلَ تسعة مصريّين على متن قافلةٍ إنسانيّة، فمن كان يَشكّ في أن يتوسّل حسني مبارك الصفحَ من إسرائيل؟ «أنا واثق بأنّ ردّ الفعل التركيّ فاجأ قادةَ العدوّ،» هذا ما قاله أمينُ عامّ حزب الله حسن نصر الله بعد وقوع حمّام الدم في أسطول الحريّة.(٥)

كان لجوءُ إسرائيل إلى العنف هو أيضًا ردَّ فعلها التلقائيّ على المدّ المتصاعد من الأساطيل المتّجهة إلى غزّة. في البداية سمحتْ للمساعدات الإنسانيّة بالمرور، آملةً في أن تصابَ عزيمةُ المنظِّمين بالضعف مع تراجع الاهتمام الشعبيّ بغزّة. لكنْ حين فَشِلَ هذا التكتيك، صَدمت البحريّةُ الإسرائيليّةُ السفنَ المتّجهةَ إلى هناك، أو اعترضتْها، أو أطلقتِ النارَ عليها. غير أنّ مزيدًا من السفن استمرَّ في التدفّق. أفيكون مفاجئًا، إذنْ، أن تلجأ إسرائيلُ إلى القوّة القاتلة؟(٦) لقد نَفَتْ إسرائيل أن يكون عنفُ العمليّة مخطَّطًا له من قبل، وزعمتْ أنّها كانت تتوقّع أن تكون «المقاومةُ شبيهةً بتلك التي نواجهها في بِلْعين.»(٧) غير أنّ إسرائيل كثيرًا ما لجأتْ، وتلجأ، إلى القوّة الفتّاكة لوضع حدٍّ لمثل هذه المقاومة المدنيّة. وقد لاحظ كاتبُ عمود في هاآرتس أنّ ما حدث على متن مافي مرمرة «شبيهٌ جدًا بما تفعله إسرائيلُ كلَّ أسبوع طوال الأعوام الأربعة الأخيرة في بلعين ـ جرحًا وقتلاً للمتظاهرين المدنيّين العزّل المطالبين بحقوقهم الأساسيّة.»(٨) ومنذ العام ٢٠٠٢ قُتل ٢٧ فلسطينيًا في نشاطات المقاومة الشعبيّة المدنيّة، في حين لم يُقتَلْ أيُّ رجلِ أمنٍ إسرائيليّ في هذه التظاهرات.(٩)

أنْ تنفّذَ إسرائيلُ عمليّةً أخرى بطريقة خرقاء [على ما فعلتْ في مافي مرمرة] فذلك أمرٌ لا يبشّر بالخير في المستقبل. لقد أصبح

---

١ ـ Doron Rosenblum, "Israel's Commando Complex," **Haaretz** (4 June 2010).

٢ ـ Scott Wilson, "Israel Says Free Gaza Movement Poses Threat to Jewish State," **Washington Post** (1 June 2010), quoting Itamar Rabinovich; "Eiland: Flotilla was Preventable," **Jerusalem Post** (23 July 2010).

٣ ـ من بيان رئيس الوزراء نتنياهو.

٤ ـ Kedar, "A War."

٥ ـ بيان نصر الله، ٤/٦/٢٠١٠.

٦ ـ Amos Oz, "Israeli Force, Adrift on the Sea," **New York Times** (1 June 2010).

٧ ـ Ron Ben-Yishai, "A Brutal Ambush at Sea," **ynetnews.com** (31 May 2010).

٨ ـ Merav Michaeli, "Nothing to Investigate: Everyone Knows what was Wrong about the Flotilla Attack," **Haaretz** (3 June 2010).

٩ ـ International Crisis Group, **Tipping Point? Palestinians and the Search for a New Strategy** (26 April 2010), p. 28n226.

جيشُ الدفاع الإسرائيليّ، الذي كان ذاتَ يومٍ يتبجّح بذاته، «عصابةً لا تستطيع أن تُطْلق النارَ بشكلٍ مستقيم،» وفقًا لتعبير جون ميرشايمر.[١] وإنّها لتَصْعُبُ المبالغةُ في تقدير كلفة هذه المغامرة الطائشة الأخيرة في عيون الإسرائيليّين. وعلى الرغم من أنّ البروپاغندا الإسرائيليّة حاولتْ يائسةً أن تلفّقَ روايةً تَزْعم أنّ الغارة على الأسطول كانت «نجاحًا عملانيًا»[٢]، وأنّ رجال الكوماندوس أبطالٌ منزَّهون، فإنّ ذلك لم يُقنعْ إلاّ حفنةً قليلةً من الناس. فالحال أنّ النقّاد الإسرائيليّين رَثَوْا لهذا «الفشل الذريع المذلّ» ولـ «الإهانة القوميّة» التي تلقّت فيها «قوّةُ الردع [الإسرائيليّة] ضربةً مؤلمةً.»[٣] وقال جدعون ليڤي شبهَ ساخر: «لقد تبخّر السحرُ منذ زمنٍ بعيد، وأكثرُ جيشٍ أخلاقيّ في العالم ـ وكان ذاتَ يوم أفضلَ جيشٍ في العالم ـ فشل من جديد.» و«هناك انطباعٌ متزايدٌ أنّ كُلّ ما يَلْمسه [الجيشُ] يسبّب أذًى لإسرائيل.»[٤]

**لقد بات على إسرائيل أن تشنّ هجمةً أكثر استعراضيّةً من قبلُ لكي تعوِّض من سلسلة إخفاقاتها الطويلة.**

لقد زُعم أنّ الكوماندوس البحريّ يشكّل «أفضلَ وحدةٍ قتاليّةٍ» في إسرائيل[٥]؛ وقد تدرّبتْ إسرائيلُ على الهجوم طوال أسابيع، بل أقامت نموذجًا لماڤي مرمرة كي تتدرّب عليه.[٦] ومع ذلك، فإنّه حين واجه ثلاثون رجلاً من هؤلاء الكوماندوس عددًا مماثلاً من الركّاب المدنيّين[٧] لم يكتفِ ثلاثةٌ من الكوماندوس بأن سَمحوا بالقبض عليهم، بل سَمحوا أيضًا بأن تُلتقَط صورُهم وتُعمَّمَ على الفضاء الأثيريّ. والحقّ أنّه لا يُفترض بجنودٍ إسرائيليّين ـ ناهيكم برجال كوماندوس ـ أن يُقبَضَ عليهم أحياء، ولاسيّما بعد أن تَحَوّلَ أَسْرُ العريف جلعاد شاليط إلى صدمةٍ قوميّةٍ إسرائيليّة.[٨] ولقد تذكّر أحدُ ركّاب السفينة الذين انتزعوا سلاحَ رجال الكوماندوس الإسرائيليّين أنّ هؤلاء «بَدَوْا كأطفالٍ مذعورين أمام أبٍ بالغِ القسوة!»[٩]

لم تكن صورةُ مجموعةٍ من «الأطفال المذعورين» هي التي أرادت إسرائيلُ أن تَعْرضها أمام خصمٍ لجيش الدفاع الإسرائيليّ أو صديقٍ. وقد كتب محلّلٌ عسكريٌّ في هاآرتس أنّ «الادّعاء الذي صدر عن ناطقٍ باسم جيش الدفاع الإسرائيليّ من أنّ أرواحَ الجنود كانت في خطر وأنّهم كانوا يَخْشَوْن اللَّنْشَ [الإعدامَ بلا محاكمة] ليس إطراءً لأفراد وحدات النخبة البحريّة...»[١٠] ولم تكن تلك أيضًا صورةً مُرْضيةً لجمهور إسرائيل في الداخل، الذي لم يسعه إلاّ أن يشعرَ بالتوتّر حيال قدرة جيش الدفاع الإسرائيليّ، بعد عدّة مغامراتٍ فاشلة، على الدفاع عن نفسه أمام سلسلةٍ تبدو وكأنّها لا تنتهي من الأعداء الشرسين المتنامي القوّة إلى ما لا نهاية. وعبّر جنرالٌ إسرائيليٌّ عن أسفه قائلاً: «أن يعتقد الناسُ أنّك مجنونٌ أمرٌ [سيِّئ]، ولكنْ أن يعتقدوا أنّك مجنونٌ وعاجزٌ [معًا] فذلك أمرٌ أسوأ ـ وهذا هو ما نَظْهر عليه.»[١١] ثم إنّ أسوأ نتائج استطلاع ظَهَرَ هذا العام (٢٠١٠) في العالم العربيّ، وتُظْهر أنّ ١٢٪ فقط من العرب يعتقدون أنّ إسرائيل «قويّة جدًا» في حين يعتقد ٤٤٪ أنّها «أضعفُ ممّا تبدو،» عزّزَتْ، وربّما فاقمتْ، مشاعرَ القلق لدى القادة الإسرائيليّين.[١٢]

كانت كلُّ مهمّةٍ كارثيّةٍ إسرائيليّةٍ تزيد مخاطرَ رميةِ النَّرْد القادمة. لقد بات على إسرائيل أن تشنّ هجمةً أكثرَ استعراضيّةً من قبلُ لكي تعوِّض من سلسلةِ إخفاقاتها الطويلة. قد تستهدف اليومَ اغتيالَ أحد قادة حزب اللّه (الأرجح ألاّ تستهدفَ نصر اللّه لأنّ اغتيالَه سيتسبّبُ في تعطّشٍ غير محسوبٍ للثأر). ولكنْ يرجَّح بعد كلّ هذه الأخطاء المخجلة أن

---

١ ـ John J. Mearsheimer, "Sinking Ship," **American Conservative** (1 August 2010).

٢ ـ Katz, "Duped."

٣ ـ Kaspit, "It's Not Enough"; David Horowitz, "Analysis: The Flotilla Fiasco," **Jerusalem Post** (1 June 2010); Harel, "Straight into the Trap"; Charles Levinson and Jay Solomon, "Israel's Isolation Deepens," **Wall Street Journal** (3 June 2010).

٤ ـ Gideon Levy, "Operation Mini," Cast Lead, **Haaretz** (1 June 2010).

٥ ـ Kaspit, "It's Not Enough."

٦ ـ Mahnaimi and Jenkins, "Operation Calamity."

٧ ـ Nahum Barnea, "The Test of the Result," **Yediot Ahronot** (1 June 2010).

٨ ـ Noam Sheizaf, "Flotilla: New Mavi Marmara Pictures Raise More Questions Regarding IDF Attack," **Promised Land** (6 June 2010; http://tinyurl.com/2aj4qrc).

٩ ـ Ken O'Keefe, "'Soldiers Thought We Would Kill Them,'" **ynetnews.com** (7 June 2010).

١٠ ـ Reuven Pedatzur, "A Failure Any Way You Slice It," **Haaretz** (1 June 2010).19.

١١ ـ Jeffrey Goldberg, "Says One Israeli General: 'Everybody Thinks We're Bananas,'" **Theatlantic.com** (1 June 2010).

١٢ ـ University of Maryland, in conjunction with Zogby International, **2010 Arab Public Opinion Poll**. 41 percent responded that Israel's power "has its strengths and weaknesses."

تركّز أنظارَها على ما هو أكثرُ طموحًا من مجرّد عمليّةِ كوماندوس محدودةٍ ترمي إلى استعادة قدرتها الردعيّة. وإذا كان قادةُ إسرائيل ينظرون إلى غارة عنتيبة بوصفها أنموذجًا لعمليّة **كوماندوس** متقنةٍ، فإنّهم يَنْظرون إلى حرب حزيران ١٩٦٧ بوصفها أنموذجًا لعمليّة **جيشٍ** متقنةٍ. ولا بدّ أنّ إغراءَ شنّ حربٍ كاسحةٍ مروّعةٍ يتغلغل عميقًا في نفوسهم.

وَلّدتْ عقابيلُ مذبحة الأسطول تشكيلةً جديدةً من القوى في الشرق الأوسط. فقد رَفضتْ تركيا أن تُذعنَ للضغط الإسرائيليّ (والأميركيّ)؛ وكانت قبل ذلك قد اصطفّت إلى جانب إيران، مصوِّتةً في مجلس الأمن ضدّ فرض العقوبات عليها.[١] وسافر الرئيس بشّار الأسد، مباشرةً تقريبًا، إلى أنقرة لإبداء الدعم السوريّ لتركيا. وذُكر أنّ حزبَ اللّه تزوّدَ بصواريخ سوريّة. «إنّ محورَ تركيا ـ إيران ـ سوريا ـ حزب اللّه ـ حماس هو القوّة الصاعدة،» هذا ما كتبه أوري أفنيري، مضيفًا: «ومحور مصر ـ السعودية ـ الأردن ـ حركة فتح إلى هبوط.»[٢] في هذه الأثناء تصاعدتِ الضغوطُ الدوليّةُ على إسرائيل لدفعها إلى التفاوض مع حماس،[٣] وبدأ الرأيُ العامُّ العالميُّ بالتحوّل ضدّ إسرائيل.

كان لا بدّ لهذه التطوّرات المتلاحقة والمتمازجة من أن تَستحضرَ في إسرائيل ذكرياتِ عشيّة حرب حزيران ١٩٦٧. فها هي اليومَ «مطوّقةٌ» من جديدٍ بأعداء يحثّون الخطى لتدميرها، في حين كان العالم «يتخلّى» بأسره عنها. لقد بات الوضعُ اليومَ مثلما كان في العام ١٩٦٧ تمامًا: مشهدًا راعبًا للإسرائيليّ العاديّ («إنّ الحبلَ يضيق من حولنا» على ما كَتَبَ إليّ مؤخّرًا صديقٌ إسرائيليّ قديم)، وجذّابًا للقادة الإسرائيليّين. إنّها، بالمعنى العميق، اللحظةُ المُثلى لشنّ ضربةٍ استباقيّة. طبعًا هناك بذورٌ من الواقعيّة في مخاوف الإسرائيليّين العاديّين، لكنّ الحقيقة التي تطغى على ما عداها هي أنّ الحبلَ، إذا كان «يضيق حول إسرائيل» فعلاً، فذلك لأنّ إسرائيل **هي** التي تضيّقه **بنفسها**.

فإذا كانت إسرائيلُ تستدعي اليومَ كراهيةً عالميّةً شبهَ شاملة، وإذا كانت غالبيّةُ اليهود الإسرائيليّين تؤْمن كما يبدو بأنّ «العالمَ بأَسْره ضدّنا،»[٤] فذلك يعود إلى عدوانيّة إسرائيل ووحشيّتها المطلقتيْن. «إنّ الحُكْمَ المسبَّقَ ليس هو ما يحرّك الغالبيّةَ الشاسعةَ من المتضامنين مع الفلسطينيّين،» على ما لاحظ دانييل ليفي، المتخصّصُ في شؤون السياسة الخارجيّة في الشرق الأوسط، بل الاحتلالُ هو أوكسيجينُهم... إنّ إسرائيلاً لا تَفْهم ذلك وتواصلُ الاحتلالَ لهي أقوى الأسباب إلى إزالة الشرعيّةِ عن ذاتها.»[٥] حتى إنّ معهد روت Reut، ذا الذهنيّة الهاجسة بنظريّة المؤامرة، والذي تحدّث عن «شبكاتٍ» كونيّةٍ متفرّعةٍ مكوّنةٍ من «محاور» و«حوافزَ» مخصّصةٍ حصرًا لتدمير إسرائيل، أقرّ بأنّه ينبغي على إسرائيل في الصراع ضدّ المساعي إلى إزالة شرعيّتها «أن تتبنّى سياساتٍ واضحةً ومتّسقةً... تَعْكس، بفعّاليّةٍ، التزامًا مخلصًا بإنهاءِ سيطرة إسرائيل على السكّان الفلسطينيّين وبتحقيق السلام.»[٦]

لا أساسَ لأن نفترضَ أنّ جيرانَ إسرائيل، زرافاتٍ أوْ وحدانًا، ينوون مهاجمتها. لكنّ ذلك ليس هو ما يهمُّ إسرائيل. علينا أن نتذكّر أنّها لم تواجهْ عامَ ١٩٦٧ خطرًا وجوديًا آنذاك أيضًا، ومع ذلك قرّرتْ شنَّ ضربةٍ أولى بعد أن أعلن الرئيسُ المصريّ جمال عبد الناصر أنّه سيغلق مضيقَ تيران أمام السفن الإسرائيليّة. إسرائيل لم تستعملْ ذلك المضيقَ تقريبًا، وفي كلّ الأحوال سَمَحَ عبد الناصر للسفن بالمرور بعد ذلك بأيّام، غير أنّ كلامه كان في حدّ ذاته سببًا كافيًا لتشنّ إسرائيلُ الحربَ. ولاحقًا لاحظ وزيرُ الخارجيّة الإسرائيليّ آبا إيبان أنّ «أهميّة الحؤول دون أن يحقّق عبد الناصر نصرًا سياسيًا ونفسيًا لم يعد أقلَّ أهميّةً من المصلحة الملموسة المتعلّقة بمسألة الملاحة.»[٧] إذنْ، لم ترضَ إسرائيل في الماضي، ولن ترضى في الحاضر، أن تقيّدَ حريّتُها في المناورة من قِبل أيّة قوةٍ موازية، ولو كانت

---

١ ـ على أنّه لا ينبغي أن نبالغ في الحديث عن التصدّع في العلاقات التركيّة ـ الإسرائيليّة. فالعلاقات التجاريّة الواسعة لم تُمسَّ حتى الآن (تركيا هي أكبر شريك تجاريّ لإسرائيل في المنطقة)، بل زادت تجارةُ إسرائيل مع تركيا حوالى الثلث خلال الأشهر السبعة الأولى من ٢٠١٠، ولم تمنع الأزمة السياسيّة تركيا من شراء طائرات استطلاع بلا طيّار من إسرائيل. وفي آب ٢٠١٠ عبّر مسؤولون أتراك عن «التزامهم بالحفاظ على علاقات دافئة مع إسرائيل.»
James Melik, "Gaza Flotilla: Israeli-Turkish Trade 'unaffected,'" **BBC News** (2 June 2010); David Wainer and Ben Holland, "Turks in Tel Aviv Show Business Binds Israel to Muslim Ally in Gaza Crisis," **Bloomberg News** (14 July 2010); Dan Bilefsky, "Turkey and Israel Do a Brisk Business," **New York Times** (4 August 2010); "Israel Exports to Turkey Up 32 Pct Despite Tensions," AFP (19 August 2010); "Turkish Officials: We're Committed to Preserving Friendly Israel Ties," **Haaretz** (26 August 2010).

٢ ـ Uri Avnery, "A Flash of Lightning," **Gush Shalom** (19 June, 2010).

٣ ـ Chris Patten, "To Avert Disaster, Stop Isolating Hamas," **ft.com** (28 July 2010).

٤ ـ Yoni Cohen, "'The Whole World Is Against Us,'" **Jerusalem Post** (19 August 2010).

٥ ـ Daniel Levy, "A Glimpse of the Future," **Haaretz** (11 June 2010).

٦ ـ Reut Institute, **The Gaza Flotilla**, para. 131.

٧ ـ Norman G. Finkelstein, **Image and Reality of the Israel-Palestine Conflict** (New York: 1995; expanded second paperback edition, 2003), p. 143.

«سياسيّةً ونفسيّةً»؛ بل تُطالب بأن تكون لهـا قـدرةٌ مطلقـةٌ على التصرّف بالوحشيّة والاستهتار اللذين يَحْلُوان لها، بلا ضوابطَ ولا مـوازينَ. ولعلّ قـادةَ إسـرائيل يَحْلمون الآن بأنْ تستطيع ضربةٌ قاضيةٌ واحدةٌ أن تعيدَ إليها أيامَ المجد التي شَهِدَتْها بعد حرب حزيران ١٩٦٧، حين تربّعتْ على الأراضي العربيّة المحتلّة خارج حدودها [عام ٤٨] في الوقت الذي سَخِرَ فيه موشيه دايان قائلاً: «إنّنا ننتظر اتصالاً هاتفيًا من العرب.»

**الهدفُ المرجَّحُ الأوّلُ للهجوم الإسرائيليّ هو لبنان، وهذا ما تستعدّ إسرائيل بدأبٍ له في الفترة الأخيرة.**

الهدفُ المرجَّحُ الأوّلُ للهجوم الإسرائيليّ هو لبنان، وهذا ما تستعدّ إسرائيل بدأبٍ له في الفترة الأخيرة. حتى إنّ أكثر المدافعين عن إسرائيل ابتذالاً، أمثال دانييل كورتزر، السفير الأميركيّ السابق لدى إسرائيل، يُقرّ بأنّ إسرائيل ستكون «على الأرجح» هي المبادِرةَ في حال اندلاع أعمالٍ عدائيّة. وهو يورد تخميناتٍ بأنّ الحرب ستقع خلال الشهور ١٢ ـ ١٨ القادمة، ويتنبّأ بأنّ الولايات المتحدة لن تَحُول دونها أو لن تكون قادرةً على ذلك: «الأرجح أن تحرّك إسرائيلُ أنصارَها في الولايات المتحدة لكي يردّوا الهجمات إلى صدر الإدارة، وستواجه إدارةُ أوباما عاصفةً من الضغوط من الكونغرس ومنظّمات اللوبي الموالية لإسرائيل. وليس واضحًا إذا كانت الإدارةُ قادرةً على أن تحشد حججًا قويّةً لموقفٍ رسميّ يدعو إسرائيلَ إلى ضبط النفس وإلاّ هدّدتْ باتّخاذ موقفٍ ديبلوماسيّ ضدّ إسرائيل في حال الحرب.»[١]

قد تكون ذريعةُ إسرائيل لضربةٍ عسكريّةٍ أولى على لبنان أنّ حزب اللّه كدّس ترسانةً هائلةً من الصواريخ والقذائف التي تستهدفها. الواضح أنّ الهجوم الإسرائيليّ سيكون صورةً مكرَّرةً عن غزو غزّة، ولكنْ على نطاقٍ أضخمَ بكثير. وقد أعلن جنرالٌ إسرائيليٌّ بعيْد غزو غزّة أنّ جيش الدفاع الإسرائيليّ «سيواصل تطبيقَ» عقيدة الضاحية، وذلك بتسديد قوةٍ هائلةٍ إلى البنية التحتيّة المدنيّة «في المستقبل.»[٢] وفي اليوم الذي جرت فيه مذبحةُ أسطول الحريّة أوردتْ «أخبار الدفاع» DefenseNews المقرّبةُ من السلطة أنّ هجومًا إسرائيليًا محتملاً على لبنان «سيَشْمل أعمالَ هجوم على البنية التحتيّة الوطنيّة [اللبنانيّة]، وحصارًا بحريًا شاملاً، وضرباتٍ تدميريّةً على الجسور والطرق العامّة،» في الوقت الذي «تنفّذ فيه القواتُ البرّيّةُ استيلاءً ضاريًا على الأراضي في ما يتخطّى نهرَ الليطاني بكثيرٍ.» إنّ جوهرَ العقيدة الإستراتيجيّة الإسرائيليّة، على ما أوضح نائبُ قائد الأركان في جيش الدفاع، هو أنّ على «كلّ جولة جديدةٍ من القتال أن تأتي بنتائجَ أسوأَ من الجولة الأخيرة» على أعداء إسرائيل. والحال أنّ إسرائيل وخصومَها يتفقون على نقطةٍ واحدة، وهي أنّ ضبّاطَ جيش الدفاع الإسرائيليّ يتنبّأون بأنّ الحرب القادمة «ستغيّر اللعبة» وأنّ نصر اللّه يتوقّع هو أيضًا «أن تغيّر وجهَ المنطقة.»[٣]

لقد أورد محلّلون عسكريون بارزون في **هآرتس**، استنادًا إلى «معلومات استخباراتيّة قيّمة،» أنّ «حزبَ اللّه نقل معظمَ مستودعاته ومراكز توجيهيه ومخازنِ صواريخه إلى جنوب لبنان، بعيدًا عن الحقول، وداخل القرى والبلدات الشيعيّة الـ ١٦٠ في المنطقة.»[٤] لكنّ هؤلاء الكتّابَ أنفسَهم، عام ٢٠٠٦، سبق أن أوردوا أنّ حزب اللّه خزّن ذخائرَ في بيوت المدنيين فحوّلها إلى «مراكزَ للاستطلاع والتوجيه.»[٥] الهدف الواضح وراء نشر هذه المعلومات «الاستخباراتيّة» الإسرائيليّة الأخيرة ليس، كما يدّعي الإسرائيليّون، «تحذيرَ حزب اللّه،» وإنّما ليبرّروا هجومًا هائلاً آخرَ على مدنيي لبنان وبنيته التحتيّة المدنيّة، علمًا أنّ قوّات الأمم المتحدة المتمركزةَ في جنوب لبنان (اليونيفيل) «لم تجد أيّ دليلٍ على بنيةٍ تحتيّةٍ عسكريّةٍ جديدةٍ في منطقة عملها.»[٦]

كثيرٌ من اللبنانيين يجدون العزاءَ في أنّ الحرب القادمة لن تكون أسوأَ من سابقتها، لكنّ إسرائيل ـ أيًا كان هولُ الدمار الذي

---

١ ـ Daniel C. Kurtzer, "A Third Lebanon War," Council on Foreign Relations (July 2010), pp. 2, 4.

٢ ـ Yaakov Katz, "The Dahiya Doctrine: Fighting Dirty or a Knock-Out Punch?," **Jerusalem Post** (28 January 2010). For the Dahiya doctrine, see Finkelstein, **This Time, We Went Too Far**, chapter 2.

٣ ـ Barbara Opall-Rome, "Israel's New Hard Line on Hizbollah," **DefenseNews** (31 May 2010); "Speech Delivered by Hezbollah Secretary-General Sayyed Hassan Nasrallah Marking the Tenth Anniversary of the Resistance and Liberation Day" (25 May 2010).

٤ ـ Avi Issacharoff and Amos Harel, "MESS Report: Israel Exposes Valuable Intelligence to Warn Hezbollah," **Haaretz** (8 July 2010); Amos Harel, "Israel Stuck in the Mud on Internal Gaza Probe," **Haaretz** (30 January 2010). See also International Crisis Group, **Drums of War: Israel and the "Axis of Resistance"** (2 August 2010), p. 2n7, p. 19n128, p. 21n142.

٥ ـ Avi Issacharoff and Amos Harel, **34 Days: Israel, Hezbollah, and the War in Lebanon** (New York: 2008), p. 130. For the dubiousness of this allegation, see Finkelstein, **This Time,** chapter 2.

٦ ـ Matti Friedman, "Underneath Lebanon, Israel Sees Hidden Battlefield," **Associated Press** (14 August 2010).

ألحقتْه بلبنان عام ٢٠٠٦ ـ «استثنت معظمَ الضواحي السكنيّة والبنية التحتيّة الأساسيّة غير الشيعيّة، مثل قطاع الاتصالات والطاقة والمياه.»[١] وقد أخبر وزيرُ الدفاع الإسرائيليّ باراك **الواشنطن بوست** أنه في حال اندلاع أعمال العداء من جديد «سيكون مشروعًا ضربُ أيِّ هدفٍ يخصّ الدولةَ اللبنانيّةَ، لا حزبَ اللّه فقط.»[٢]

قد تُمْكن المُحاجّة بأنّ إسرائيل بعد هزيمتها عام ٢٠٠٦ لن تفتعلَ قتالاً مع حزب اللّه، ناهيك بأن تجازفَ بمواجهةٍ إقليميّة. غير أنّ إسرائيل لم تسلِّم بأنّها لم تعد تمتلك القدرةَ على توجيهِ ضربةٍ هائلةٍ إلى خصومها، بل هي لا تأخذ في الاعتبار أنّ القوّة الإسرائيليّة المقاتلة اليوم ـ على ما بيّنتْ مهزلةُ الكوماندوس من جديد ـ لم تعد كما كانت في السنوات الماضية؛ ولا تأخذ في الاعتبار وأنّ القوى التي تصطفّ في مواجهتها أشدُّ بأسًا من القوة الناضبة التي هزمتْها إسرائيلُ عام ٦٧، تلك القوى القوميّة العربيّة الراديكاليّة والمسيَّرة بالكلام الفارغ. وإنّه لأمرٌ ذو دلالة أن يتحدّث الإسرائيليّون، بعد كلّ عمليّةٍ فاشلةٍ جديدة، عن أخطاء «عملانيّة،» لا عن أخطاء في **المفاهيم**؛ والافتراضُ الإسرائيليُّ الضمنيُّ هنا هو أنّه في حال تصحيح تلك «الأخطاء العملانيّة» فسيكون تحقيقُ الأهداف الإسرائيليّة في المرّة القادمة ممكنًا وأكيدًا.

الافتراض الثاني الذي يساوي الافتراضَ الأوّلَ خطأً هو أنّ إسرائيل لن تهاجم حزبَ اللّه إلاّ إذا ضمنتْ هزيمتَه عسكريًا. لكنّ الواقع هو أنّ السياسة بالنسبة إلى إسرائيل، نقضًا لمبدإ كلاوشڤيتس، غالبًا ما تكون حربًا بوسائلَ أخرى. فإذ رَسَخَ في النفسيّة الإسرائيليّة أنّ «العرب لا يفهمون إلاّ لغةَ القوّة،» فإنّ القادة الإسرائيليّين يَشْعرون بدافعٍ دوريٍّ إلى القيام باستعراض كاسح لقوّتهم الناريّة. الحربُ عندهم ليست وسيلةً إلى غاية؛ إنّها الغايةُ نفسُها. أحد الأخطاء الرئيسيّة التي يُقال إنّ القادة الإسرائيليّين ارتكبوها عام ٢٠٠٦ هو أنّهم أعلنوا هدفًا طَموحًا مُبالغًا فيه: القضاء على حزب اللّه.[٣] فلو كان الهدف المعلن للحرب منْع حزب اللّه من إطلاق صواريخه على إسرائيل، لاستطاعت أن تعلن النصرَ بشكلٍ مُقْنع؛ فلقد شهدتْ الحدودُ الإسرائيليّة ـ اللبنانيّة هدوءًا غيرَ مسبوق بعد الهجوم الإسرائيليّ آنذاك، تحديدًا بسبب الموت والدمار الهائليْن اللذيْن ألحقهما بالمجتمع اللبنانيّ.[٤]

عند بدء غزو غزّة، حصرتْ إسرائيل هدفَها المعلنَ بوقف صواريخ حماس، وكان في مقدورها أن تعلنَ النصرَ لاحقًا. طبعًا كان النصرُ المزعومُ، في معظمه، دجلاً: فعددُ الهجمات بالصواريخ والقذائف من غزّة أثناء وقف إطلاق النار قبل الغزو، وبعده، هو من المستوى ذاته.[٥] ومع ذلك فقد التزمتْ حركةُ حماس التزامًا دقيقًا بوقف إطلاق النار بعد الغزو ـ على الرغم من عدم رفع الحصار الإسرائيليّ اللاشرعيّ عن غزّة ـ جزئيًا بسبب التدمير الهائل الذي أنزلتْه إسرائيلُ بالقطاع. في حربٍ قادمةٍ مع حزب اللّه قد تعلن إسرائيلَ أنّ هدفها هو إضعافُ قدرات حزب اللّه الصاروخيّة في المدى القريب؛ ثم تشنّ حربَ «ترويع وصدم» لنزع بضعة آلاف من صواريخ حزب اللّه؛ وبعدها تعلن النصرَ. وفي الوقت نفسه، ومثلما فعلتْ في غزّة تمامًا، ستعمد إلى تدمير البنية التحتيّة المدنيّة اللبنانيّة لإنذار العالم العربيّ ـ الإسلاميّ بألاّ يفكّر في تقييد حركة إسرائيل في المناورة، ولقَلْب الشعب اللبنانيّ ضدّ حزب اللّه.

لقد أعلن نصر اللّه مرارًا وتكرارًا أنّه في حال نشوب حربٍ جديدةٍ فسيكون الردّ هو العين بالعين والسنّ بالسنّ: مطارًا بمطار، مرفأً بمرفأ، مدينةً بمدينة، مبنًى بمبنى، محطّةَ كهرباء بمحطّة كهرباء، مصنعًا بمصنع، حصارًا بحريًا بحصارٍ بحريّ.[٦] سمعةُ نصر اللّه بأَسْرها، وهو يَعْلم ذلك، تستند إلى التطابق التامّ بين كلماته وأفعاله، خلافًا للقادة العرب، من عبد الناصر إلى صدّام حسين. بكلام آخر، كلُّ الأسباب تؤكّد فرضيّة أنّ نصر اللّه يعني ما يقولُ وأنّه سيفي ـ وينبغي أن يفي ـ بما وَعَدَ به.

من المخيف تصوُّرُ ما ستفعله إسرائيل إذا استهدف حزبُ اللّه عاصمتها غير الرسميّة [تل أبيب.] فحين سُئل ضابطٌ رفيعٌ في الأركان العامّة الإسرائيليّة إنْ كان القانونُ الدوليُّ سيَرْدع إسرائيلَ، أجاب بلا تردُّد: «حين تحلّق الصواريخُ فوق تل أبيب في الحرب القادمة، ونحن نفترض أنّها ستفعل، فسنردُّ بكلّ القوّة اللازمة. لا توهموا أنفسكم أنّ أحدًا سينتظر رجالَ القانون!»[٧] ويغدو الاحتمالُ أكثرُ هولاً إذا اعتبرنا أنّ هجومًا

---

١ ـ International Crisis Group, **Drums**, p. 2n5.

٢ ـ "Q&A with Israeli Defense Minister Ehud Barak," **Washington Post** (26 July 2010). See also International Crisis Group, **Drums**, pp. 4-5.

٣ ـ **Winograd Commission Final Report** (30 January 2008), paras. 13-15.

٤ ـ See Finkelstein, **This Time**, chapter 2.

٥ ـ Compare the graphs on pp. 74 and 100 of Intelligence and Terrorism Information Center, **Hamas and the Terrorist Threat from the Gaza Strip: The Main Findings of the Goldstone Report Versus the Factual Findings** (March 2010).

٦ ـ "Resistance and Liberation Day" speech.

٧ ـ Harel, "Israel Stuck."

إسرائيليًا على لبنان قد يستدعي تدخّلَ إيران وسوريا، ولاسيّما إذا قرّرتْ إسرائيلُ أن تستعيد حزيران ١٩٦٧ لتوجيه ضربةٍ قاضيةٍ واحدةٍ إلى كلّ خصومها،[١] أو إذا تصوّرتْ إيرانُ وسوريا (بحقّ) أنّ هجومًا على حزب اللّه وهزيمتَه مقدّمةٌ للهجوم عليهما. النقطة الجوهريّة هي أنّ إسرائيل لن تتحمّلَ هزيمةً أخرى على يد حزب اللّه، وأنّ الولايات المتّحدة ستتدخّل إذا أوشكتْ إسرائيلُ على الهزيمة، وأنّ حزب اللّه لن يتحمّل هو الآخر هزيمةً على يد إسرائيل، وأنّ إيران وسوريا ستتدخّلان هما أيضًا بشكلٍ شبه مؤكّدٍ إذا أوشك الحزبُ على الهزيمة. والواقع أنّ هجومًا إسرائيليًا على حزب اللّه سيجرّ سلسلةً من ردود الفعل التي لن يريد أيُّ إنسانٍ عاقلٍ أن يتصوّرَ أبعادَها!

**إسرائيل باتت تحتاج اليومَ إلى ضحايا مدنيِّين إسرائيليِّين عديدين لكي تستغلَّهم في الإعلام إلى أقصى مدى، من أجل تبرير هجومٍ ماحق.**

يَظْهر أنّ حسابات حزب اللّه تقول إنّ تصميمًا يعلنه الحزبُ بشكلٍ مسبّقٍ بالردّ بضرب الجبهة الداخليّة الإسرائيليّة، في حال هجوم إسرائيل على لبنان، سيَمْنعها من هذا الهجوم.[٢] غير أنّ القادة الإسرائيليّين قد يكونون على استعداد للمجازفة بوقوع عددٍ كبيرٍ من القتلى المدنيّين الإسرائيليّين من أجل توجيه الضربة القاضية إلى الحزب. هذا، وقد استثمرتْ إسرائيلُ منذ حربها على لبنان عام ٢٠٠٦ مبالغَ هائلةً في البنية التحتيّة للدفاع المدنيّ، وأجرت تدريباتِ دفاعٍ مدنيّ سنويًا وكأنّها تُعدّ جبهتَها الداخليّةَ لضرباتٍ ثأريّةٍ محتملةٍ.[٣] وهي في كلّ الأحوال عاجزةٌ بنيويًا عن تصوّر نفسها في العالم العربيّ ـ الإسلاميّ إلاّ في موقع «السيّد،» وعَبْر لغة القوّة. بل إنّ قادتها قد يستسيغون هجومًا [من حزب اللّه] على المدنيّين الإسرائيليّين لكي يُثيروا هستيريا داخليّةً ويَضْمنوا تعاطفًا عالميًا مع نهايةٍ إجراميّةٍ إسرائيليّة. فبعد أن نَفّرتْ إسرائيلُ أقسامًا كبيرةً من الرأي العامّ العالميّ عقب أعمالها التدميريّة المتلاحقة في لبنان عام ٢٠٠٦ وغزّة في ٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩، وبعد حمّام الدم في ماڤي مرمرة، فإنّها باتت تحتاج اليومَ إلى ضحايا مدنيّين إسرائيليّين عديدين لكي تستغلّهم في الإعلام إلى أقصى مدى، من أجل تبرير هجومٍ ماحق. لكنْ إذا واصلتْ ضرباتُ حزب اللّه الثأريّة إيقاعَ ضحايا مدنيّين إسرائيليّين بما يتجاوز حدًا معيّنًا، فإنّه لن يكون في مقدور إسرائيل إعلانُ نصر عسكريّ بعد حربها الماحقة، وقد يَخْرج الدمارُ المتبادلُ بين الطرفيْن عن السيطرة.

في الختام يبقى السؤالُ مفتوحًا ما إذا كان يمكن الاعتمادُ على قادة إسرائيل في التصرّف وفقًا للحسابات العاقلة. فبعد غزو غزّة أعلن المسؤولون الإسرائيليّون أنّهم «تصرّفوا» بجنون لكي يَردعوا أعداءَ إسرائيل؛ ولكنْ بعد غارة الكوماندوس الدمويّة على أسطول الحريّة يتساءل المرءُ إنْ كان الإسرائيليّون قد أصبحوا مجانين فعلاً. وقد لاحظ أوري أڤنيري، بحقٍّ، بعد الهجوم على الأسطول، أنّ «الحكومة المجنونة التي فقدتْ كلَّ الضوابط والصلاتِ بالواقع هي وحدها التي يمكن أن تَفْعل شيئًا كهذا: أن تَعتبرَ سفنًا تَحمل مساعداتٍ إنسانيّةً وناشطي سلامٍ من جميع أنحاء العالم عدوًا، وأن ترسل قوّةً عسكريّةً هائلةً إلى المياه الدوليّة لمهاجمتهم وإطلاقِ النار عليهم وقتلِهم.»[٤]

إنّ قيادةً إسرائيليّةً مختلّةً تَشْعر بالحصار وبأنّها «في الزاوية،» وتتوق يائسةً إلى استعادة قوّتها الردعيّة لكنّها تَظْهر في كلّ مرّة أعجزَ من المرّة السابقة، وتشعر أنّها باتت متحرِّرةً من ضوابط الرأي العامّ والتداعيات القانونيّة، وتهدِّد تكرارًا بمهاجمة إيران وحزب اللّه بما يجعل تراجُعَها أصعبَ وإلاّ فقدَتْ صدقيّتها؛... إنّ قيادةً كهذه يمكن أن تصبّ جامَ قوّتها على خصومها. وليس من الضروريّ أن يكون المرءُ عرّافًا ليتكهّن باقتراب يوم القيامة. وليس بالأمر المبكّر أبدًا إطلاقُ التحذير بضرورة إرغام إسرائيل على الانضمام إلى الإجماع الإقليميّ الداعم لجعل منطقة الشرق الأوسط مجرّدةً من أسلحة الدمار الشامل.[٥] كما يجدر التشديدُ على أنّ رفضَ إسرائيل الانسحابَ الشاملَ من الأراضي التي احتلّتها عام ١٩٦٧ قد سدّ الطريقَ أمام أيّ حلٍّ ديبلوماسيّ مع الفلسطينيّين وسوريا، وهو ما كان سيقلّل جديًّا من احتمال نشوب حربٍ إقليميّة.

**نيويورك**

---

١ ـ International Crisis Group, **Drums**, pp. 5-11.

٢ ـ See Nasrallah's "Resistance and Liberation Day" speech.

٣ ـ David Horowitz, "Editor's Notes: When the Next War Comes," **Jerusalem Post** (8 August 2010).

٤ ـ Uri Avnery, "A Crime Perpetrated by Order of the Government...," **Gush Shalom** (31 May 2010). See also David Grossman, "The Gaza Flotilla Attack Shows How Far Israel Has Declined," **Guardian** (1 June 2010).

٥ ـ E. B. Solomont, "IAEA Presses for Nuke-Free Mideast," **Jerusalem Post** (12 May 2010).